صفية مكناسي/ الصفحات: من 311 إلى: 320
الملتقى الدولي: التعدد المصطلحي في اللسانيات ومشكلات الترجمة-مخبر-اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات-جامعة الأغواط-2023/12/16م

التعدد المصطلحي في التجربة النقدية عند عبد المالك مرتاض "مصطلح الشعرية نموذجا"

Terminological pluralism in the critical experience according to Abdul Malik Murtad

د. مكناسي صفية
جامعة أمحمد بوقرة- بومرداس(الجزائر)
mak-s@hotmail.fr **
s.meknassi-univ@boumerdes.dz

تاريخ الإيداع: 2023/11/14 تاريخ القبول:2023/12/04 تاريخ النشر: 2023/12/20

الملخص:

عرف مصطلح الشعرية عدّة تسميات منها ماهو منقول عن طريق التعريب كالأدبية و الإنشائية ، و منها ما هو مترجم عن اللغة الأجنبية مثل بويتيك و بويطيقا و غيرها ،إلا أن الدارس لهذه التسميات المتشعبة يجدها تصب في إطار واحد و هو البحث عن مكامن الجمال و الفنيّة في النصوص الأدبية.من الذين مارسوا النقد عبد المالك مرتاض الذي وقف على ذات الإشكال في تجربته النقدية من خلال المرجعية المعتمدة، و من خلال التفرد الذي إمتاز به الرجل في عملية التعامل مع المصطلح،من استلهام و وترجمة و وضع،وعلى هذا فالاشكال المطروح هنا كيف وظف الناقد الجزائري مصطلح الشعرية في طروحاته النقدية و دراساته الإجرائية؟وكيف تجلت ملامح التّعدد المصطلحي من خلال المرجعيات المعتمدة؟

سنعالج في هذه الورقة البحثيّة إشكاليّة التعدد المصطلحي الذي نجم عن عمليّة ترجمة و وضع و توظيف مصطلح الشّعريّة في النقد المغاربي، و بالتّحديد في التجربة النقدية عند عبد المالك مرتاض ،و نقف على التباين في الاستخدام من خلال التّسميّة و الترّجمة و التباين في تناول المصطلح نظريا و تطبيقا.

الكلمات المفتاحية: المصطلح.، النّقد،الشّعريّة،الخطاب ،التّوظيف،الوضع

Abstract :

The term poetics has been known by several names, including what is transmitted through Arabization, such as literary and compositional, and some of which is translated from the foreign language, such as poetic and poetika, and others. However, the researcher in these diverse designations finds that they fall into one framework, which is the search for the sources of beauty, artistry in poetry and literary texts. Among those who practiced criticism was Abdul Malik Mortad, who noticed the same problem in his critical experience through the approved authority,

and through the uniqueness that distinguished the man in the process of dealing with the term, from inspiration, translation, and elaboration. Accordingly, the problem presented here is how did the Algerian critic employ the term poetics in his critical proposals and procedural studies? And how did the features of terminological pluralism become evident through the approved references?

In this research paper, we deal with the problem of terminological multiplicity that resulted from the process of translating, developing, and employing the term "poetics" in Maghreb criticism, and specifically in the critical experience of Abdel Malik Mortad, and we look at the variation in usage through naming and translation, and the variation in the treatment of the term theoretically and in practice.

Keywords: : terminology, criticism, poetic, discourse, employment, situation

مقدّمة:

عرفت عملية توظيف المصطلح في الطروحات النقدية العربية جملة من الإشكالات ،حققها فيما بعد الإدراك والمقارعة لهذه النصوص، بحيث إنك لتجد خلطا في المفاهيم المعدّة للمصطلح الواحد، و في بعض الأحايين تصل إلى حدّ التضارب بينها في الطرح الواحد، و من هذه المصطلحات نجد مصطلح الشعرية الذي تشعبت مفاهيمه،و تمفصلت الآراء حول المجال الذي يشتعل فيه، فتارة تجد من يحصره في مجال الشعر وحده،و أخرى من يتوسع به إلى النثر، وهناك من يراه نظرية للأدب عامة، و آخر يحدد به قوانين الإبداع([1]) من هذا المنطلق تطرح هذه الورقة البحثيّة الإشكال الآتي: كيف تجلت مفاهيم الشعرية في الطروحات النقدية عند عبد المالك مرتاض؟و ما المرجعية التي بلورت هذه الطروحات؟وما العلاقة الجامعة بين هذه الطروحات؟أعلاقةتقارب و تواشج أم علاقة تباعد وتباين؟

تكمن أهمية هذا البحث في السعي نحو محاولة توحيد المنظومة المصطلحاتية في النقد العربي عامة و المغاربي على وجه الخصوص، و من ثمة تحقيق التوافق بين الطروحات النقدية للوصول إلى خلق فكر نقدي عربي متصل الأطراف، تحكمه ناصية الترابط و التلاحم بين الأقوال المؤسسة للطرح الموضوعاتي، الذي يحقق بدوره العمل التراكمي في الوصول إلى توحيد الاستعمال للمصطلح النقدي الواحد، لتتجلى الرؤى النقدية و يثبت عودها في ظل التراكمات النقدية الغربية الوافدة.

للوصول إلى هذه الأهداف نطرح جملة من الفرضيات أهمها:

- العمل على وضع معايير و قوانين لضبط عملية وضع المصطلح,
- العمل على وضع قوانين من أهل الاختصاص في عملية توظيف المصطلح.
- ضرورة التقيد بالفكر الجمعوي في استعمال المصطلح، و الابتعاد عن الطروحات الفردانية و الفردية.
- ضرورة تأسيس هيئة استشارية متخصصة ،مهامها متابعة عملية وضع و توظيف المصطلح.

يرنو هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف نذكر منها الوصول إلى قناعة العمل التشاركي في تحديد المصطلح والتعامل معه و توظيفه،و للوصول إلى تحقيق هذا المراد، اعتمد البحث منهجية تكمن في تقصي مفهوم الشعرية عند عبد المالك مرتاض،و المرجعية المعتمدة في تحديده لمفهومها، و أيضا الخلفيّة الفكرية التي اتكأ عليها الرجل في محاولة حصره لمفاهيمها المتعددة،سواء منها الغربية عن طريق الترجمة و التعريب ، أو تلك التي استلهمها من التراث النقدي العربي القديم ، و أيضا جرأته العلميّة في وضع مصطلح خاص به يراه أنسب لمصطلح الشعرية ،و توصيف استعماله وتوظيفه للمصطلح في الدراسة التّطبيقيّة و التحليلية للنصوص الشعرية و النثرية ،ثم مقارنة هذه الطروحات واستجلاء أوجه التداخل و التباين بينها.

-1مفهوم الشّعريّة من المنظور الغربي عند عبد المالك مرتاض: عبد المالك مرتاض مع عملية الوضع و التّوظيف الاصطلاحي عامة بكل أريحية و جرأة معرفية و إجرائية و نقدية،فلا تجده كثير الاحتراز في استخدام

المصطلح النّقدي، بل إنّه كثير التلونات في الاستخدام، و متشعب المرجعيات في استلهام المصطلح من منابته الغربية ،و نقله إلى العربية عن طريق الترجمة تارة ،و التعريب تارة أخرى،و الرجوع إلى التراث النقدي العربي و البحث عن مادة معرفية للإستئناس بها،في محاولة الإحاطة بالمصطلح و مفاهيمه ليتمكن من تقديمه إلى الطرح العربي.

مصطلح الشعرية من المصطلحات التي نقلت إلى الطرح النقدي العربي عن طريق الترجمة و التعريب،فهي وليدة الحقل اللساني الذي جاء في العصر الحديث،وعرفت اتساعا واضح المعالم في حقول معرفية متنوعة، الأمر الذي جعل "منافذها متعددة و اشتغالاتها تكاد تكون مختلفة،من حيث زاوية النظر و الاشتغال"[2] حيث شغل هذا المصطلح حيزا هاما من اهتمام النقاد"و كان في طليعة المصطلحات الجديدة التي تبوأت مقاما أثيرا من اهتمامات الخطاب النقدي المعاصر،حتى غدا كل عود على بدء فيها سهلا ممتنعا، و أضحت الشّعريّة من أشكل المصطلحات ، و أكثرها زئبقية ، وأشدها إعتياصا ، بل انغلق مفهومها و ضاق بما كانت معه مجالا رحبا"[3]و يعود هذا الانغلاق حول مفاهيمها بالأساس إلى الزوايا النظر التي تجاذبتها، و إلى"مسيرة هذا المصطلح التي تشابكت في تقلباتها بين دلالة تاريخيّة و أخرة اشتقاقيّة وثالثة توليديّة مستحدثة"[4]

حيث كان منطلقها الأول من الشكلانيّة الروسية و الدرس اللساني ،ثم عبرت إلى الدرس النّقدي في البحث عن مكامن الأدبية و الجماليّة في النصوص ،من خلال البنية المجردة و ليس الآثار الأدبية مثل ما ذهب إلى ذلك تدوروف في قوله"كل شعرية مهما تكن تنويعتها هي بينوية مادام موضوعها بنية مجردة و هي(الأدب)و ليس مجموعة الوقائع التاريخية(الآثار الأدبية)[5]، حيث موضوع الشّعريّة في طرح تدوروف هي الخصائص و السمات التي يكون عليها النّص الأدبي ، "و ليس الأثر الأدبي بذاته هو موضوع الشّعريّة فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب المتفرد الذي هو الخطاب الأدبي"[6] في حين يقدم لنا جون كوهن الشّعريّة على أنها"علم موضوعه الشعر"[7]حيث يقتصر الشّعريّة في نظره على الخطاب الشعري دون غيره من الخطابات،لما يحمله الخطاب الشعري من استعمالات لغوية خاصة متفردة تختلف عن النظام اللغوي العادي التواصلي.

ينتقل رومان ياكبسون من الطرح اللّساني الذي قدم فيه خطاطة التّواصل اللفظي ،و التي جعلها في عناصر ستة هي:"مرسل ، مرسل إليه ،رسالة، سياق و سنن " ([8])إلى الشعرية بخطاطة تشمل الوظائف النّصيّة في درسه" اللّسانيات و الشّعرية" و جعلها أيضا ست وظائف و هي: "الانفعالية،و الإفهامية،والمرجعية،و الشّعرية،والانتباهية، والميتاليسانية"([9]) بحيث كل نص من النصوص يحتوي على هذه الوظائف لكن بمقادير متفاوتة ،بحسب مقصدية وغاية كل نص،و يعتبر النّص الأدبي"هو الذي هيمنت فيه الوظيفة الشّعريّة عن باقي الوظائف الأخرى.،حيث يربط رومان جاكبسون الشّعريّة بالوظيفة النصية التي تكون في النصوص بتفاوت ،حيث النصوص الأدبية تهيمن فيها الوظيفة الشعرية"ويكتسب الشعر هذه السمة المسماة وظيفة شعرية بفضل اسقاط مبدأ المماثلة من المحور الإختيار على محور التأليف"[10].

تنوعت مفاهيم الشعرية في الطروحات الغربية بين كونها علم للشعر مع جون كوهين،و القوانين التي تبحث عن السمات الجماليّة في النص الأدبي عامة مع تدوروف ، و بين كونها الوظيفة التي تتحقق في النصوص على إثر اسقاط مبدأ المماثلة بين محوي الإختيار و التأليف مع رومان جاكبسون،فتارة يعدها الطرح الغربي تلك السمات و الخصائص اللغوية الموجودة في النص الشعري بخاصة، و تارة يعدها قوانين للخطاب الأدبي أو نظرية للأدب تستجمع الآليات التي تحقق الأدبية في النصوص ، و تارة ثالثة يعدها الوظيفة الجماليّة التي تهيمن في النصوص الأدبية فتحمل تلك السمة جراء هذه الهيمنة.

أمّا عن التّعدد المصطلحي الذي تجلت ملامحه في التّجربة النّقدية عند عبد المالك مرتاض حول مصطلح الشّعريّة فهي عنده مقابلا للأجنبي"poetique" تارة،و تارة أخرى مقابل ل poetecite "وهذان الاصطلاحان لم يفصل بينهما حتى الطرح الغربي نفسه الذي أوجدهما([11])حيث نجده في عمله الموسوم"الكتابة من موقع العدم" ص118 و ص356 يوظف مصطلح الشّعريّة،أمّا في دراسته" الأدب الجزائري القديم" ص 14 فنجده يستخدم المصطلح بصيغة الجمع"الشّعريات"أمّا في عمله "في نظرية الرواية" ص 312 يحاول الرجل هنا أن يكون أكثر دقة و علمية([12])في التّمييز بين المفهومين المختلفين ،بين"الشعريةpoeticite"و التي تنصرف إلى جمالية الشّعر و "الشّعرانيةpoetique" التي تنصرف إلى نظرية الشّعر، و قد كرّر هذا الصنيع في نظرية الرواية سنة1999 بشكل أعمق حين قال"نحن نميز بين مفهومين مختلفين في الاستعمال، و ربما يخطئ النقاد العرب المعاصرون إذ يصطنعونهما بمعنى واحد:

-Poetique الذي نترجمه تحت مصطلح "الشّعرانيّة"

Poeticite الذي نترجمه تحت مصطلح "الشّعريّة"

حيث إنّ الأول ينصرف إلى النظام الشّعري لشاعر أو كاتب لعهد معين، و لبلد معين ،و قل إنّ هذا المفهوم ينصرف كما هو معروف إلى نظرية الإبداع الأدبي... بينما ينصرف المفهوم الآخر إلى الصيغة أو الحالة التي تميز كتابة ما ، فهذا المعنى كأنه يقترب من معنى الأدبية litterarite"[(13)]

تعددت المصطلحات و المسميات لمفهوم الشّعريّة عند عبد المالك مرتاض بين الشّعريّة التي يريد بها السمات الشّعريّة المستلهمة من الأصل الأجنبي" poeticite"و بين مصطلح الشّعرانيّة التي هي من وضعه و اجتهاده مقابلا للأصل الأجنبي "poetique" التي يراد بها نظرية الشّعر ،أو نظرية الإبداع الأدبي عامة،و بين الشّعريات ، و بين المفهوم العام والمفهوم الخاص للشعرية نجد أنفسنا أمام ترسانة من المصطلحات و المسميات المتداخلة التي لا نكاد نفصل بينها إلا بعد تدقيق عميق،حيث"يراوح بين بدائل اصطلاحيّة كثيرة أمام المفهوم الواحد ،في الموطن الواحد أو المواطن المتعاقبة ،بما قد يغيّب المفهوم ذاته في غياب التقيد التجريدي بموقع اصطلاحي واضح ،فهذا عبد المالك مرتاض يكبد نفسه عنتا اصطلاحيا عسيرا،جاهدا و مجتهدا في البحث عن مقابل عربي كفيل باستعاب المفهوم الغربي ، و قد كلفه هذا الاجتهاد العلمي المتطور مزيدا من التردد و الاضطراب،انعكس بما تعطاه من كم اصطلاحي كبير (الشعرية-.. الإنشائية.. –الشعرانية..)قبل أن يرسو على ثنائية "الشّعريّات ، الشعرية" [14] .

يميز عبد المالك مرتاض([15])هنا بين "الشعرية"بمعنى الخاصية الجماليّة و الفنيّة التي تلزم نصا شعريا ما خصائص لغته الشّعريّة مثلا و " الشّعريات "بالمعنى السائد في معجم لاروس الفرنسي:النشاط النقدي الذي يسعى إلى فهم وظيفة الكتابة الشّعريّة ، أو النظام الشّعري لكاتب ما ،أو لعصر ما ، أو لبلد ما، ثم يؤكد "الشعريات"مقابلا ل poetique في كتاب([16])لاحق عام 2000.

يرى الكثير من الدارسين أن هناك فرق واضح المعالم بين الشّعريّة "poetique "و بين الأدبيّة litterarite" حيث "إنّ الشعرية poetique"علم عام موضوعه الأدبيّة،يروم القيام علما للأدب، غايته استنباط الخصائص النّوعيّة والقوانين الداخلية للخطال الأدبي في شموليته الجنسية و الكمية،أمّا الأدبية "litterarite "و السمات الشعرية poeticite" فيستويان و يتوازيان مترادفين موضوعا للشّعريّة، مع فارق يسير هو أنّ المصطلح الثاني غالبا ما يقتصر على جنس الشّعر،ليصبح مرادفا لجماليّة النّص الشّعري، و تضيق دلالته إذن عن دلالة الأدبية"[17] التي تشمل النّص الأدبي عامّة الشّعري منه و النثري،حيث الأدبيّة أو السمات الشّعريّة هي موضوع الدراسة ،أمّا الشّعريّة فهي العلم العام أو المنهج الذي يتقصى و يتتبع هذه المكامن الجماليّة و الفنيّة في النّصوص الأدبيّة،حيث العلاقة بين الشّعريّة و الأدبية هنا علاقة العلم بالموضوع أو علاقة المنهج بالموضوع.

2-المرجعية العربية في تحديد مفهوم مصطلح الشعرية عند مرتاض: بعد تجربة الترجمة لمصطلح الشعرية ومحاولة تقديم مفهومها للطرح العربي من لدن عبد المالك مرتاض ،يحاول العودة إلى التراث العربي، ليبحث عن مقابل لهذا المصطلح ،بحيث يستدعي مصطلح "الماء الشعري " المستوحى من وصف القدامى للشعر الغني فنيّا بكثرة الماء والرواء ،لاسيما الجاحظ في مقولته الشهيرة المعاني مطروحة في الطريق ،حيث يقول:"هذا الشيء الذي كان القدماء يطلقون عليه "الماء الشعري"، و قد نطلق عليه نحن المعاصرون "أدبيّة الشعر" ،أو "البويتيك"،أو "الإنشائية"،أو "الشّعرية"poetique" [18] يأتي بمصطلح جديد من وضعه و هو " الشعرانيّة" في محاولته للتنظير للرواية و أساليب الكتابة السردية، و البحث عن مكامن الجمالية فيها.

إن مصطلح "الشّعرانيّة"الذي تفرد مرتاض بوضعه لا يعيبه النقاد في ذاته، لأنّ هذه الصيغة من الاستعمال ليست شاذة و لا غريبة بل موجودة في التراث العربي"لأنّ اللّغة العربية قد ألفت مثل هذه المنسوبات التّي تضيف ألفا و نونا قبل ياء النسبة (عقلانية ، نفسانية،...)إنّما عيب الشّعرانيّة أن المعيار التّداولي الذي قد نحتكم إليه في ترشيح مصطلح ما ، أو استبعاده لا يقرّها بحكم غرابتها لدى المتلقّي، و محدوديّة استعمالها ، و ندرة رواجها، حتى إنّ صاحبها نفسه قد تنازل عنها في كتبه الأخيرة ،حيث رسا على ثنائية تجريدية أخرى و هي"الشّعريات ، الشّعريّة"التي أقرّها عام1999 في سياق إعتراضه على "شاعرية" الغذامي([19]).

يعترض عبد المالك مرتاض على مصطلح "شاعرية"،الذي جاء به الغذامي ويرد هذا الموقف إلى أنه لا يفهم منها سوى"المعنى الذي يتمخض للقابليّة التي تتكون لدى الشاعر، فكأنها تنصرف إلى الذات ،بينما الشّعريّة يجب أن تتمخض لثمرة القول الذي يقوله الشاعر، فكأنها تنصرف لعطاء الذات"([20])فمرتاض هنا يفصل بين الذات المبدعة

والإبداع و يرى أن مصطلح شاعرية يرتبط أكثر بالذات المبدعة ،فلا يجوز أن نجعله معيارا نجمل تحته قوانين الابداع الأدبي الذي يحمله مصطلح الشعرية في مضامينه.

كما نجد عبد المالك مرتاض يحاول الجمع بين الطرحين الغربي و التراث العربي في تحديد مفهوم الشعر،حيث في كتابه "بنية الخطاب الشعري"اعتمد الباحث على آراء الجاحظ و آراء جون كوهن لتقاربها في تحديد مفهوم الشعر،على مجموعة عناصر أساسية ،فحسب الجاحظ يعتمد الشعر على إقامة الوزن ، و تخير اللفظ و سهولة المخرج من خلال قوله "فإنّما الشعر صناعة ، و ضرب من النسيج ، و جنس من التّصوير"[21] و ما طرحه كوهن من ارتباط الشّعريّة بالشعر لما يحوزه الشعر من خصائص لغوية متفردة[22]، و إن كان قول الجاحظ هنا متجه نحو مفهوم الشعر ،والعناصر الأساسية التي يتكون منها ،بينما كوهن يتحدث عن مفهوم الشّعريّة من خلال السمات التي تكون متمظهرة في عناصر خاصة في الاستخدام اللغوي الشعري منها اللفظ و المعنى و الايقاع.

يرى عبد المالك مرتاض أن الجاحظ سبق نقاد عصره ، و هو يلتقي بجون كوهن في الرؤية و هو من النقاد المعاصرين على الرغم مما يفصل بينهما من زمان و مكان و حضارات ،فرؤية الجاحظ حديثة جدا إذا ما قورنت بما تذهب إليه المناهج الأسلوبية و الشّعرية المعاصرة، و هذه الرؤية يتبناها عبد المالك مرتاض و يرسخها في ممارساته النقدية النظرية و التّطبيقية[23]،اعترافا منه بتفوق الجاحظ و اتساع رؤيته النقدية إلى ما وصل إليه النقد المعاصر.

و في موقع آخر من دراسته "من أ إلى ي "يعود إلى التراث القديم و يستدعي مصطلح"الماء الشعري" ص146،الذي كان متعارفا عليه كمعيار لحسن جمال القصيدة،أمّا في طروحاته النقدية يستخدم مصطلح"البويتيك" في كتابه الموسوم"النص الأدبي من أين إلى أين" ص 26و يستخدم "الأدبية"في كتابه"نظرية الرواية"ص312،و كذلك "الكتابةمن موقع العدم" ص 118يستخدمالأدبية.

3-توظيف مصطلح الشّعريّة في الدّراسات النّقديّة عند مرتاض: إذا إتجهنا نحو الميدان التطبيقي و الإجرائي في توظيف مصطلح الشعرية، نجد عبد المالك مرتاض في دراسات واسعة، جمعت بين الشعر و النثر سواء رواية أو مقاطع نثرية من التراث العربي، حيث كانت دراسته على نطاق واسع و وفق مناهج متعددة و متنوعة، جمعت بين الأسلوبي و البينوي و السيميائي، أما عن دراسته للشّعر فنجده يستخدم مصطلح"أدبية الشعر"في دراسته الموسومة"من أ إلى ي" ص 146 الذي تناول فيه قصيدة محمد العيد آل خليفة " أين ليلاي" في خضم بحثه عن شعرية الشعر أو ما يسمى بالسمات الشّعرية،أو شعرية الخصائص الجماليّة للشّعر ،من خلال البحث في رحاب السمات والخصائص الشعرية التي تكون في اللّغة الشعرية الحاملة لها عند مجموعة من الشعراء،حيث الشّعرية هنا يتسع مجالها إلى جملة من الاستعمالات التي تتجلى فيها الخصائص و السمات الفنيّة.

كما يمكن أن يضيق مجال الشّعريّة فترتكز على أعمال شاعر واحد أو قصيدة واحدة مثل ما فعل مرتاض مع قصيدة "أشجان يمنية " للمقالح حيث كانت موضوعا لكتابه "بنية الخطاب الشّعري" حيث قام فيه "بدراسة

تشريحية لقصيدة أشجان يمنية،بحيث يعتمد في تحليليه للخطاب الشعري جميع وقائعه اللسانيّة و مظاهره الأسلوبية ، و يستخدم في ذلك بعض المصطلحات التّعليميّة التّقليدية ، و بعض المصطلحات اللسانية الجديدة ، و قد حلل الباحث البنى الطاغية في قصيدة أشجان يمنية من أفعال و أسماء و تعريف و تنكير ، و ماضي و مضارع، و حيز و زمان ،و حدّد خصائص المعجم الشّعري و علاقة ذلك بنسيج الخطاب و الأبعاد الدلاليّة ،و الجماليّة لمظاهر الخطاب الأسلوبيّة في مستوياتها الافرادية و التركيبية و إحاءاتها ، و قد عمد الباحث في جميع ذلك إلى الاحصاء و هو يتغيا من ذلك الضبط المنهجي و التّحليل الموضوعي"[24] حيث قام عبد الملك مرتاض في هذه الدراسة بالوقوف على مستويات التحليل الأسلوبي من اختيار إلى تركيب وصولا إلى الدلالة في تتبع معالم الشعرية في نص "أشجان يمنية"من خلال الوقوف على سمات المعجم المعتمد لدى الشاعر وفق منهجية الإحصاء لجملة الأفعال و الأسماء و الحروف المستخدمة،و تذيل ذلك بالتحليل الموضوعي و التأويل الدلالي الذي يلائم ذائقته النقدية.

أمّا في مجال السرد و في رحاب البحث عن شعرية اللّغة السردية و التّقاطع الحاصل بين الجنسين على مستوى الاستخدام اللغوي ،نجد عبد المالك مرتاض في عمله "الأدب الجزائري القديم"يقدم قراءة في بعض الخطب و الرسائل الجزائرية القديمة ،من خلال تقصيه لمكامن اللّغة الشّعرية الواردة في تلك الخطابات النثرية، من خلال وقوفه على بعض الاستخدامات اللغوية الخاصة"كاصطناع الألفاظ الشّعريّة الرقيقة ، و شحنها بأجمل المعاني التي لم تكن فيها من قبل ، و كالتوسع في الاستعمال النسجي كالانزياح بالكلام نحو منحرفات أسلوبية لم يعهدها في سوالف أمره ، و لا مواضي سيرته ، و كاصطناع ايقاعات منتظمة"[25] حيث يرى مرتاض أن النثر قد يستعمل بعض خصائص اللّغة الشّعريّة من انزياح، و ايقاعات منتظمة ،و انحرافات دلالية تكون في الألفاظ التي تشحن بمعاني جديدة ،فتحقق فضاء التعجب و الاستغراب الذي هو من خصائص و سمات اللّغة الشّعريّة.

كما يربط مرتاض بين الشعر و النثر، و امكانية رفع الحواجز بينهما قائلا:".فإذا الشعر نثر نظما،و إذا النثر شعر إذا كان مشبعا بالصور ،مثقلا بالرؤى الشفافة، محملا على أجنحة الألفاظ ذات الخصوصيات الشّعريّة"[26]وهذا ما ذهب إليه حازم القرطاجني في منهجه النقدي في خضم حديثه عن الأقاويل الشّعريّة و الخطابية، حيث يرى أن الشعر يستخدم بعض آليات الخطابة و الخطابة تستدعي بعض آليات الشعر [27]، و هذا ما أقره النقد المعاصر أيضا خصوصا مع كمال أبوديب في عمله الموسوم "في الشّعريّة" من خلال مبحثه" الشّعريّة و النثر" [28]حيث يلتقي الشعر مع النثر في بعض الاستخدامات الخاصة ، منها المفارقات الضدية ،و الجمع بين المتنافرات ،و المفاجآت التركيبية ، والانزياحات التي تحقق الفجوة و مسافة التوتر.

تلك إذن هي تجربة عبد المالك مرتاض مع توظيف مصطلح "الشّعرية "في طروحاته النّقديّة ،و في تحليل الخطابات الشّعرية و الروائيّة، بحيث تميزت هذه التّجربة بالجرأة العلميّة في الإقدام نحو خوض عالم وضع المصطلح ،و التنازل عنه عند إنجلاء الرؤيا و اكتشاف قصوره عن أداء مهامه ا لمنوطة به،و قد استعانت هذه التجربة بالتّرجمة تارة وبالتعريب تارة أخرى ،و قد تميزت بمواكبة الطروحات حال صدورها"و لا يستقيم فهمنا لهذا الصنيع الجريء إلا

موصولا باستراتيجيّة مرتاض النّقديّة الشاملة التي تقوم على روح اللامنهج ،حيث نعى على معاصريه سلوكهم الخطير حين يقرؤون النظريات الغربية ،ثم يحاولون قطعها بالمقص لوضعها على الورق لتحليل النّص العربي ،رافضا بذلك مكننة التحليل لأي نص عربي"([29])فهو بهذا الصنيع يحاول إيجاد مصطلحات تناسب خصوصية النّص العربي ،لكن هذه المحاولة بقدر إجابياتها كانت لها هنات تجلت في تلك الحركة الدينامية –الوضع و الرفض -المتلونة التي لا تعرف الاستقرار.

خاتمة:

في نهاية هذا البحث حول إشكاليّة توظيف مصطلح "الشّعريّة "في التّجربة النّقديّة عند عبد المالك ، و الحال التي آلت إليها طروحاته من تشتت و لا توحيد في المنظومة الإصطلاحيّة ،من خلال التّعدد المصطلحي الذي عرف عند الرجل على مستوى التنظير و التطبيق نسجل النتائج الآتية:

-استندت عمليّة وضع المصطلح عامة في النقد العربي الحديث و المعاصر على النظريات و المناهج الغربية، وطبقتها على النصوص العربية بوعي أو من دونه،في ظل قصور الذائقة العربية عن إنتاج نظريات أو مناهج لتحليل و استقراء النصوص الأدبية العربية،حيث المناهج و النظريات الغربية وضعت خصيصا للنصوص الإبداعية الغربية، فكيف لها أن تلائم خصوصية النص العربي.

-عرفت عمليّة وضع و توظيف المصطلح النقدي"الشعرية" في الطروحات النّقديّة العربية عامة عدّة طرائق وأساليب منها الترجمة حيث نجدها وظفت مقابلا للمصطلح الأجنبيpoetique، و مرة ثانية مقابلا للمصطلحpoeticite بدون أي تمييز بينهما،و منها التعريب حيث وضع لها تسمية"البويتيك"، و منها النقل التجريدي من اللغة الأم تحت مسمى"البويطيقا"،و في حين هناك من اجتهد و قابلها بمصطلح"الانشائية" كالمسدي، و آخر جعلها نظرية للأدب، وغيرها من التسميات المتعددة، و هذا الأمر يعود إلى المنظومة النقدية الغربية في ذاتها ،التي لم تفصل في قضية حدود و وجود"الشّعريّة" أهي علم للأدب،أم نظرية لقراءة الأدب، أم منهج لتحليل النصوص الأدبية .

-امتازت عمليّة التّرجمة لمصطلح "الشّعريّة " عند عبد المالك مرتاض بنوع من التذبذب في تحديد مفهومها،حيث تجده يتدحرج بين كونها سمات للخطاب الشعري بشكل خاص ،و بين كونها القوانين التي تحاول التّقبض على مكامن الفنيّة و الجمالية في النّصوص الأدبية ، و هذا الاشكال كان مطروحا في النقد الغربي ذاته الذي أوجد مصطلح الشّعريّة، و لم يفصل في الآراء المتضاربة حول كون الشّعريّة مرتبطة بالشعر فقط بحسب طرح كوهن ،و بين ذاك الذي يعدها قانونا للأدب عامة مثل تدوروف ، الأمر الذي جعل الإشكال ينتقل من الطرح الغربي إلى النقد العربي على مستوى التنظير و التطبيق . الأمر الذي أبعد سمة توحيد المصطلح عن المنظومة النّقديّة خصوصا العربية، التي كانت ترتكز على الطروحات الغربية في استلهام المصطلحات و تطبيقها على النصوص العربية، ،بل أكثر من ذلك ،حيث إنّك لتجد عند الناقد الواحد عدّة تسميات للمفهوم الواحد للمصطلح ،و عدة اقتراحات لذلك من دون أدنى رقابة علميّة من أهل الاختصاص.

-حاول عبد المالك مرتاض الرجوع للتراث العربي و البحث عن مقابل للشّعرية ،بحيث تجده يستدعي الماء الشعري ،مستأنسا بآراء الجاحظ حول مفهوم الشعر و كونه تخيير للفظ و المعنى و صناعة و ضرب من النسيج، و يحاول مقارنته بآراء المحدثين خصوصا كوهن حتى يتمكن من الاعتراف بمكانة الرجل النقدية.

-أما في الجانب الإجرائي التطبيقي نجد عبد المالك مرتاض واسع التطبيق على نصوص شعرية متعددة ، و أخرى نثرية في رحلة البحث عن السمات الشّعريّة ،و الفنيّة للنصوص الأدبية من النّصوص الشعرية الجزائرية ،و النّصوص الشعرية العربية عامة ،من خلال مناهجه المتعددة من البينوي إلى الأسلوبي إلى السيميائي،ليصل في مرحلة متقدمة إلى قناعة مفادها اللامنهج.

الاقتراحات:

في نهاية هذا البحث حول إشكالية تعدد المصطلح في الطرح النّقدي عند عبد المالك مرتاض ، و ما يعانيه من شطط و فوضى في الاستخدام،نقدّم جملة من الإقتراحات لعلها تكون نافذة أمل نحو تغيير التّعامل مع المنظومة الإصطلاحيّة العربية و المغاربية على وجه الخصوص،و هي كالآتي:

-**أولا**: ضرورة تنصيب هيئة مختصة في عمليّة وضع وتوظيف المصطلحات ،يكون دورها السهر على مراقبة الجهاز المفهوماتي للمنظومة الإصطلاحية،بحيث ترفض كل ما يستوجب الرفض، و تجيز ما يستحق الإجازة و يستوجب القبول، وفق معايير العلميّة و الموضوعاتية المعمول بها في الطروحات النّقديّة العالميّة.

-**ثانيا:** ضرورة تحلي أهل الإختصاص بمبدأ العمل التّشاركي و التّشاوري في عمليّة التّرجمة ،و استراد النظريات والمصطلحات الغربية،و بلورتها وفق خصوصيّة النّصوص العربية، والابتعاد عن المحاولات الفردية و حب الظهور والبروز بدون أدنى ضابط للعلميّة ،و الموضوعيّة في استخدام المصطلحات، والتأسيس و التأصيل لها .

-**ثالثا:** ضرورة تكافل و اتحاد الجهود النّقديّة في تأسيس نظرية عربية لقراءة و تحليل النصوص الأدبية،نظرية تكون خلاصة عمل جماعي تشاركي هدفه تأسيس مدرسة نقدية عربية،تحمل خصوصيّة الموضوعيّة في الطرح و العلميّة والاحترافية المعرفية في الإنجاز.

هوامش البحث

[1]-1 طرح هذه الفكرة حسن ناظم في دراسة معمقة وسمها مفاهيم الشعرية،المركز الثقافي العربي،ط1،الدار البيضاء المغرب، 1994ص:15.

[2]-2عثماني الميلود،شعرية تدوروف،عيون المقالات،الدار البيضاء،ط1990،1،ص:16.

[3] -3 يوسف وغليسي،إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط2008،1،ص:270.

[4] -4عبد السلام المسدي،المصطلح النقدي،مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر،تونس،1994،ص:87.

[5] -5ينظر:تدوروف،الشعرية،ترجمة شكري المبخوت، و رجاء بن سلامة،دار توبقال،الدار البيضاء،المغرب،ط1990،2،ص:28.

[6] -6المرجع نفسه ،ص:28.

[7] -7جون كوهن،بينة اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي و محمد العمري ،دار توبقال الدار البيضاء ،المغرب ،ط ،1986،ص:7

[8] -8 ، رومان جاكبسون،قضايا الشعرية،ترجمة محمد الولي و مبارك حنون،دار توبقال الدار البيضاء،المغرب،ذ1988،1،ص:27.

[9] -9 رومان جاكبسون،قضايا الشعرية، ،ص:33.

[10] -10 المرجع نفسه ،ص:7-8.

[11] -11ينظر:. المرجع نفسه،ص277.

[12] -12المرجع نفسه،ص299.

[13] -13عبد المالك مرتاض،في نظرية الرواية،سلسلة عالم المعرفة،الكويت،1999،ص:312.

[14] -14وغليسي يوسف،إشكالية المصطلح ،ص:295.

[15] -15ينظر:المرجع نفسه،ص:356.

[16] -16عبد المالك مرتاض،الأدب الجزائري القديم،دار هومة، الجزائر،2000،ص:214,

[17] -17المرجع السابق،ص:279.

[18] -18عبد المالك مرتاض:أ-ي،دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1992،ص:146.

[19] -19يوسف وغليسي،إشكالية المصطلح،ص:300.

[20] -20بد المالك مرتاض،الكتابة من موقع العدم،مؤسسة اليمامة،كتاب الرياض،1999،ص:325-326,

[21] -21الجاحظ،الحيوان،تح عبد السلام هارون،دار الجيل،بيروت،1416ه/1996.

[22] -22نور الدين السد،الأسلوبية و تحليل الخطاب،دار هومة الجزائر،دتا،ج2،ص:133.

[23] -23:المرجع نفسه،ص:133.

[24] -24نور الدين السد،الأسلوبية و تحليل الخطاب،ج2،ص:133-134.

[25] -25عبد المالك مرتاض،الأدب الجزائري القديم،دار هومة ، الجزائر،2000،ص:104.

[26] -26عبد المالك مرتاض،النص الأدبي من أين؟ و إلى أين؟ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1983،ص:26.

[27] -27ينظر:حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء،تح محمد الحبيب بن خوجة،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1981،2،ص:119و ما بعدها.

[28] -28ينظر:كمال أبوديب،في الشعرية،مؤسسة الأبحاث العربية ،بيروت،1987،ص:16.

[29] -29 يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح ،ص:250.